المحاضرة: حول إشكالية مَفهَمَة الفلسفة و أبرز تساؤلاتها

"بدون تغيير أنماط تفكيرنا، سوف لن نتمكّن من حل المشاكل الّتي نوجدها بنمط تفكيرنا الحالي" ألبرت آينشتاين

"ثمة اكتشافان أساسيّان يحقّ للمرء أن يعدهما من أصعب الأمورهما:

فن حكم الناس وفن تربيتهم" إيمانويل كانت

شعار (موسوعة ستانفورد

للفلسفة)[1]

[1] https://hekmah.org /

الأهداف المرام تحقيقها:

- التّعرف على أهم معاني الفلسفة (اللّغوية والاصطلاحية والايتيمولوجية)
- إدراك صعوبة التَّحديد الكامل والتَّام لمفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية وهو مبدأ فلسفي وابستمولوجي
- أهم الأسئلة المفتاحية والقِيمات الأساسية للفلسفة.

حول ماهية الفلسفة /معنى يَتَفَلسَف ؟ وفوائدها العلمية والعملية؟

لا تسأل أبدا فيلسوفا عن معنى الفلسفة، لأنّه بعد ألف صفحة، لن تحصل سوى على نفس السّؤال! مع نظرته الخاصّة للموضوع لا غير.

✓ إشكالية تحديد معنى واحد ودقيق للفلسفة أمر عسير ومستشكل منذ القِدم، فلم يتمكّن لا المتقدّمون من ذلك ولا المحدثون، ولن يدرك اللاّحقون ذلك لطبيعة موضوعها، وإنّما تبقى وجهات نظر متباينة تخضع لضرورات وألوان السِّياق الزّمكاني الاجتماعي، والفكري القائم، ذلك لأن حالات التّفلسف ولو بشكل غير منتظم مرتبطة غالبًا في تاريخ المجتمعات بفترات الصّراع والتّحول الاجتماعي. لذا يتحدث المختصون عن الفلسفة الشرقية (الهندية، الصينية، الإسلامية)، الفلسفة الغربية بتفرّعاتها، كما يتحدثون عن الفلسفة المثاليّة، الواقعيّة، المادية، الإنسانية...[2]. حاول Gille Deleuze & Félix Guattari تقديم الإجابة في كتابهما ما هي

[2] ملاحظة: الحديث على فلسفة بعينها سواء مثالية أو و اقعية، ... وفق التّحقيب الأكاديمي لها ، بالقول مثلا أنّ المثالية كانت في زمن أفلاطون .. أوكانط، لا يعني أنّها قد انتهت صلاحيّة مقاربتها، أووّلت أفكارها، ولم تعد صالحة لزماننا، ذلك أنّ الفلسفات بتعدّد مذاهبها إنّما هي زو ايا نظروتأمّل للكون ولنواميسه، ولمعرفة عظمة خالقه، كلّها تتعاضد علّها تفهم أوتفسر جزءا من قو انينه، وتساؤلاته. وعليه بالنّسبة لنا يجب أن نتعاطى مع كلّ المذاهب، دون أن نَتَمَذهَبَ لاتِّجاه بعينه، أو نتعصّب لفكرة بذاتها، بل نمازج ونُوَلّفَ بين أفكارها ومقارباتها لمحاولة فهم و اقعنا (الدنيوي) ومآلنا (الأخروي)

الفلسفة؟[3]، ليخلصا أنّ الفلسفة هي "نشاط صِناعة المفاهيم l'activité de créer des concepts " ضمن ثلاثة حقول رئيسية الفلسفة والعلم والفن، لمواجهة ما سمّياه بالفوضى Le chaos، حيث تقدّم مفاهيم - لا صحيحة ولا خاطئة - لكنها ضرورية للتّفكير. إنّها أمّ العلوم كما توصف، لا يمكن الحديث عن علم معيّن دون الرّجوع لأصوله وامتداداته ومآلاته الفلسفيّة. وأيّ تساؤل حول معنى الفلسفة يثير الدّهشة والحيرة، إلاّ إذا أضفنا له عند فلان أو علان بتحديد فيلسوف بعينه.

- ✓ الفلسفة باعتبارها تفكير نقدي، تتميز باستجوابها وتساؤلها الأنطولوجي (Qu'est-ce que)، في الواقع، نجد لكل فيلسوف تعريف متميز للفلسفةphilosophie، وبالتالي للتَّفَلسُف philosopher. لكن تعددهم المثير للقلق بالفعل: إذا كان لكل مفكر تصوره الخاص للفلسفة، مختلفًا عن الآخرين، ما الذي يجعل من الممكن توحيدهم جميعًا في نفس التخصص، لتجميعهم معًا تحت مفهوم واحد 'الفيلسوف philosophe'؟. يمكن أن يكون لدى العلماء مفاهيم متباينة للعلم، أو الفنانين للفن، غير أنّ العلم والفنّ يمكن تمييزهما بسمات موضوعية، ما يسمح لكلّ منهما بتخصيص "هوية مستقل عن التّصورات الّتي نصنعها والتّعاريف الّتي نقدّمها لهما. هل ينطبق الشّيء نفسه على الفلسفة؟ يتساءل " François Galichet " (François). بدوره تساءل "هيغل" ما معنى الفلسفة؟، فأجاب أنّ الفلسفة تعني بيان حقائق عالم الوجود.

إيتومولوجياً:

نحن نعلم أنّ أيّ تعريف غالبًا ما يكون تعسفيًا إلى حدٍّ ما، لعسر تحديد معناها الكامل والنّهائي، لذا سنحاول استعراض أهم أبعاد المفهوم بقدر الإمكان. فكلمة "فلسفة" من أصل يوناني، مشتقة مباشرة من φιλοσοφία (فلسفة). تنقسم إلى

[3] **Gilles Deleuze et Félix Guattari, *Qu'est-ce que la philosophie* ?. Paris, Éditions de Minuit, Coll. Critique, 1991.**

philo- (فعل φιλεῖν philein: أن تحبَّ، أن تبحث)، وصوفيا sophia (اسم صوفيا: المعرفة، العلم، الحكمة)، أما حرفياً فتعني"حبّ الحِكمَة Amour de la sagesse" (Malingrey, 1961). ومنه فالفلسفة عملية ذاتية وشخصية تتمثل في التّفكير النّقدي والتّشكيك العقلي والتّأملي في العالم والمعرفة والوجود البشري. انشغل الإنسان منذ الأزل ومنذ اندهاشه الأوّل (باعتبار الدّهشة والانبهار أصل الممارسة الفلسفية وعكس الجمود الفكريL'étonnement est le contraire de l'inertie intellectuelle) بمحاولة البحث عن إجابات لثلاثة أسئلة وجودية، أمّا الأوّل من أين أتيت؟، وأمّا الثّاني لماذا أنا هنا؟، والثّالث ما مآلي بعد الموت؟، أسئلة أرّقت عقول الأفراد والجماعات، فذهب كلّ طرف يبحث وينسج إجابات لها، باستثناء المجتمعات الّتي جاءها الجواب عن طريق الأنبياء والرّسل ما زال عديد الأشخاص لم يجد إجابة شافيّة وافيّة عنها. وإن ذهب بعض المفكرين للقول أنه يمكن ترجمة الفلسفة بطرق متعددة، دون إعطاء أي امتياز لأحدهما عن الآخر. فمعنى 'حب الحكمة Amour de la sagesse ' صحيح ، ولكن أيضًا هناك معنى "عاطفة المهارة والقدرة « affection pour la compétence » أو 'الولع للمَكر' « penchant pour la ruse » (Martin, 2007).

سقراط، لوحة جدارية رومانية، القرن الأوّل قبل الميلاد في مَتحف أفسس Museum Ephesus، سلجوق Selçuk ، تركيا

- ✓ كما يمكن فهم الفلسفة على أنّها نشاط تفكيري يروم فَهم أواليّات ونواميس الخلق والملكوت، والتّأمل فيه، وتعريف وتحليل مفاهيم مثل الحياة والموت، والبحث عن سر السّعادة، ومعايير الخير والشر، وقواعد الجمال الحقيقي، وآليات العدالة وحدود الظلم، ومصدر وحدود الحكم والسلطة، إنّها محاولات إنسانية للبحث عن حقيقة القضايا الكبرى والصّغرى للوجود، حقيقة كُنْهِه ووُجوده ومآله بعد الموت، والبحث عن العلّة الأولى لكل ذلك (الله عند البعض، والذّهن عند البعض، والمادّة عند غيرهم). بالنّسبة لأرسطو Aristote (385 ق م 323 ق م) الحكمة هي العلم النّظري بالمبادئ الأولى والأسباب الأولى.
- ✓ لكلمة "فلسفة" معنى مزدوج، الأول مرتبط بممارسة الفلسفة، أي السّعي العملي للحكمة والتّعلّم. خيث يجب على الفيلسوف أن يتمثل الأخلاق من ناحية، والمعرفة من ناحية أخرى. إضافة أن فكرة الحب (حب الحكمة) تقدم الفلسفة من خلال نوع العاطفة التي تربطه بها.

الخلاصة: الفلسفة هي حبّ الحكمة والمعرفة وتمثل قيمها فعلياً

تصوّر الفكر الإسلامي للفلسفة:

- لعل من أكبر المسائل الّتي أرّقت آل الفكر الإسلامي عبر التّاريخ، قضية علاقة الفلسفة بالدِّين/الشَّرع، حيث أثارت كثير المساجَلات والمشاكسات، بل والصِّراعات والتَّناحرات الفكرية والاجتماعية العظيمة. حيث انتضدت في رأيين مهمّين: الرّأي القائل أنّ الفلسفة كُفرٌ وبُهتان على الشَّرع، لأنّ الدّين -حسبه- فيه كلّ دقائق أمور الدّنيا واللآخرة، فلا حاجة لنا بها لأنّها "هَرطَقة فكرية". حيث تمّ وَصْمُ عديد الفلاسفةَ بالكُفر والإلحاد، وبينهم الإمام "أبو حامد الغزالي"(1058-

1111) الّذي ألّف كتاب "تَهَافُت الفلاسفة"، ليُبَيّنَ فيه بُطلانَ ما يدعو إليه الفلاسفة[4].

- أمّا الرّأي الثّاني: فاعتبرها ضرورة فكرية لتدبُّر مختلف موجودات ونواميس الكون، ومحاولة معرفتها والاستدلال عليها باستخدام العقل، لأنّ الخالق سبحانه وتعالى أمر بذلك في عديد آياته الكريمة، بألفاظ متعدّدة ومتنوعة (التّأمل، التّفكير، الاعتبار،..). عبّر عن ذلك "ابن رشد" (1126-1198) بعبارة الشّهيرة "الحكمة صاحبة الشّريعة، والأُخت الرَّضِيعَة مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، وهما المُصْطَحِبَتَانِ بالطَّبْع، المُتَحَابَّتَانِ بالجَوهَر والغَريزَة"[5].
- ولأنّ مشكلة تأصيل الفلسفة ترتبط بمشكلة مجتمعية (أممية) وحضارية أشمل وأعقد ألا وهي سبل تحقيق التّقدم الحضاري بكلّ مكوّناته وأبعاده، خاصّة العلمي والمعرفي في المجتمعات الإسلامية. برز عديد الفلاسفة والمفكرين حاولوا سبر غور المشكلة، من أشهرهم "ابن سينا"، "بن طفيل"، "الكِندِيُّ"[6]، "إخوان الصَّفاء"[7]، "أبو

---

[4] هناك رأي يعتقد أن "الغزالي" لم ينتقد الفلسفة في ذاتها كعلم، و إنما انتقد بعض الفلاسفة و أفكارهم التي انزاحت -حسبه- عن الشرع، خاصة حول مسائل قدم العالم، وبأنَّ الله لا يعلم إلا الكليات و إنكار بعث الأجساد.

[5] من كتابه: فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ص 58، تعليق وتقديم الدكتور ألبير نصري.

[6] أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكِندي،(يُطْلَقَ عليه اسمُ فيلسوف العرب والإسلام) من أوائل من حاول تذليل مسألة التوفق بين الفلسفة والشرع التي شغلت الفلاسفة المسلمين، حيث حاولوا استعمال الفلسفة لفهم الدين. ما اضطرّ "ابن رشد" لكتابة رسالتَه (فَصْلُ المَقَال فيما بين الحِكْمَة والشَّرِيعَة من الاتِّصَال)، التي اجتهد من خلالها للتَّوفيق بين الدين القائم على الوحي والفلسفة القائمة على التَّفكير العقليّ البرهاني، ومحاولًا البرهنة على العقائد الإسلاميَّة برهنةً علميَّة تَنبَثِقُ من آيات القرآن، وتسلك طريق البرهان لا الجدل، فتُرْضِي كُلًّا من الدين والفلسفة.(حسن الشافعي، "التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية"، دار البصائر، الطبعة الأولى 2014، ص 128).

والفلسفة في تصوره تكمن في البحث والنظر العقلي الخالص الذي يهدف إلى كشف الحقيقة والوصول إليها. ووصفها قائلا: "إنَّ أعلى الصِّنَاعَاتِ الإنسانيَّةِ مَنْزِلَةً، وأَشْرَفَهَا مَرْتَبَةً صِنَاعَةُ الفلسفة التي حدُّها: عِلْمُ الأشياءِ بحقائقِها بِقَدْرِ طَاقَةِ الإنسان؛ لأنَّ غَرَضَ الفيلسوف في عِلْمِه إصابةُ الحَقّ، وفي عَمَلِه العملُ بالحقّ".

7 الفلسفة في تصوّرهم " معرفة حقائق الأشياء بعللها ومعلولاتها، وماهية طباعها التي جبلت عليها، ولمياتها التي خلقت لأجلها والإحاطة بجميع ذلك علما كليا بقدر طاقة الإنسان". (إخوان الصفاء، الرسالة الجامعة، ج1، ص99).

حامد الغزالي" (المعلم الثّاني) . أما "أبو نصر الفارابي" (874-950)[8] فقد حكى بأنّ أصلها يوناني دخيل على العربية ومعناها "إيثار الحِكمَة" والفيلسوف "مُؤثِر الحِكمة" وهو الذي يجعل الوَكَد من حياته وغرضه من عُمرَه الحِكمة (القتلان، 1910، صفحة د). ويعرفها:

- ✓ من حيث الموضوع بالعلم بالموجودات بما هي موجودة (الفارابى، 1968، صفحة 1).
- ✓ الغاية: معرفة الخالق تعالى، وانه المرتب لهذا العالم بوجوده وحكمته وعدالته " فمعرفة الخالق هي الغاية في الفلسفة، إذ في معرفتها تكمن السعادة.
- ✓ سلوك الإنسان بالتّشبه بالخالق بحسب طاقة الإنسان.
- ✓ من حيث هي منهج وتطبيق ب" القصد الى الأعمال وبلوغ الغاية والقصد الى الأعمال يكون بالعلم، وبلوغ الغاية يكون بإصلاح الإنسان نفسه، ثم إصلاح غيره " (الفارابى أ.، صفحة 13).

ابن رشد (1126-1198)[9]: يُعتبر أعظم شرّاح فلسفة أرسطو، حيث عرّفها "بأنّها النَّظَرُ في الموجودات وفهْمِ خصائصِها ومعرفة أحوالِها للدّلالة على صانِعِها (خالِقِها / واجِدِها)، فكلّما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصّانع أتم. فإنّ هذا يؤدّي إلى القول بأنّ الشّرع قد دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به. وعليه يمكن القول إنّها فنّ فهم ما يجب أن يكون ليَحُل مَحَلّ ما هو موجود، وبدلاً من وضعيتنا.

[8] من المؤلفات التي تجاوزت مائة وعشرين مؤلفاً «الحروف"، "المنطق العبارة"، "الفارابي الموفق والشّارح"،" تحصيل السّعادة"، "الألفاظ المستعملة في المنطق"،" آراء أهل المدينة الفاضلة ومُضادّاتها"، " السّياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات"، "من القرآن"، "رسالتان فلسفيتان"، "إحصاء العلوم"....

[9] من أهم مؤلفاته: تهافت التَّهافُت وفَصل المقال.

ماذا عن فلسفة الاستخلاف؟:

ترتكز فلسفة الاستخلاف على محاولة تحديد واستجلاء العلاقة بين المستخلِف (الله) خالق الأكوان والثّقَلَين، والمستَخلَف (الإنسان) بوصفه المقصد الأوّل للقرآن والشّريعة، والمستَخلَف فيه (الكون)، وذلك باتّخاذ المفاهيم القرآنية الكُليّة كالتَّوحيد والاستخلاف والتَّسخير... مسلّمات قاعدية لها، ثمّ محاولة استنباط النّتائج الفلسفيّة لهذه المفاهيم. ومن الآيات المدللة على ذلك:" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة: الآية 30)، وقال تعالى: (وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ (النور: الآية 55).

- ✓ خصائص فلسفة الاستخلاف:

يلخص الدكتور "خيرى صبري محمد خليل" أبرز خصائصها بأنها: فلسفة إسلامية معاصرة، ذات طبيعة إنسانية -روحية "دينية "، وسطية متجاوزة لكل من الفلسفات المادية والمثالية. والمقصود بكون هذه الفلسفة إسلامية إنّها اجتهاد مقيّد بالنّص، وليس كونها نص" يقيني الورود قطعي الدّلالة". أمّا المقصود بكون هذه الفلسفة معاصرة إنّها: أوّلا: تتجاوز موقفي الرّفض والقبول المطلقين، من الإسهامات الفلسفية للمجتمعات الأخرى المعاصرة لنا، إلى موقف نقدي يرفض من هذه الإسهامات، ما تناقض مع أصول الدّين النّصية الثّابتة" على المستوى النّظري"، وواقع المجتمعات المسلمة "على المستوى العملي"، ويأخذ ما اتّسق معهما. ثانيا: إنّها تهدف - طبقا لمستواها التّطبيقي " المذهبي " - إلى وضع حلول للمشاكل- المشتركة - الّتي يطرحها واقعنا الزّماني والمكاني (خيرى، 2020).

- ✓ للإشارة تتموضع نظرية الاستخلاف حسب المرجعية القرآنية نموذجا وسطا بالمقارنة مع نظريات غالت في استخلاف الإنسان قدسته وجعلت منه إله الوجود، وتصورات أنزلته للقاع واختزلت لشيء من الأشياء، وكائنا مثله مثل باقي الكائنات خاضع لسلطة غرائزه وشهواته.
- ✓ في وقت متأخر ونزعة صوفية اقترح الدكتور "أبو الوفا الغنيمي التفتازاني" (1930 - 1994) التّعريف التّالي "الفلسفة هي الفكر الاستدلالي الذي يتناول بالبحث الله سبحانه وتعالى والكون والإنسان، ليحدد علاقة الله عزّ وجل بالكون والهدف من خلقه، وعلاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، وعلاقته بالكون ودوره فيه، ورسالته في هذه الحياة تعتبر وسيلة إلى حياة أخروية أكمل".
- ✓ بالنّسبة للفيلسوف "براتراند راسل Bertrand Russell " (1872 -1970) فقد افتتح كتابه "مشكلات الفلسفة The problems of philisophy" بسؤال: **هل ثمّة معرفة في العالم تبلغ درجة من اليقين لا يستطيع الإنسان العاقل الشّك فيها؟.**
- ✓ يجيب بأنّه رغم أنّه سؤال يبدو سهل الإجابة للقراءة الأولى إلاّ أنّه يبقى من أعسر الأسئلة، وحينما ندرك العقبات التي تقف في سبيل جواب صحيح موثوق به نكون قد شرعنا في دراسة الفلسفة ، فما الفلسفة سوى محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة القصوى، إجابة لا تخلو من العناية ولا المذهبية كما نفعل في الحياة العادية بل حتى في العلوم، ولكن من الناحية النقدية بعد اكتشاف كل ما من شأنه أن يجعل هذه الأسئلة محيرة، وبعد التأكد من الغموض والاضطراب اللذين تنطوي عليهما أفكارنا العادية (راسل، 2016، صفحة 9).
- ✓ أساس التّفلسف "التَّفكير"، وضمن أيّ تفكير هناك أبعاد من التّفلسف، الذي يتباين من حيث الأنماط والغايات والأهداف، لأنه ما إن يُعمِل المرء المفكّر عقله في

تأمل أيّ ثيمَة أو في محاولة البحث عن حلول لمشكلة معينة فإنه يكون أمام فعل تفلسفي، ذي غاية محدّدة، حيث يتموضع هكذا تفكير إمّا ضمن الفلسفة العملية عند البحث عن حلول للمشاكل القائمة والممكنة، أو الفلسفة العلمية في محاولة البحث عن حل لمشكلة علمية أو الفلسفة النظرية المجردة في الاجتهاد في سبر غور حقيقة مفاهيم مثل الحياة، الحق، الحرية، المسؤولية، الجزاء، الموت...

- ✓ لكن الفلسفة Philosophie/ Philosophy ليست تراكم مجموعة مذاهب وتيارات فلسفية معينة وإنما هي آلية التّفلسف Philosopher في ذاته وفي فعله، هي قدرة التّساؤل المزمن والدّائم حول الوجود بكل مكوناته وما بعد الوجود بكل أبعاده، بالتّساؤل المستمر لأنّ الفلسفة إذا توقفت عن التّساؤل لن تبقى حيّة بل تنتفي. إنّها طريقة للحياة، أن تكون فيلسوفًا يعني أيضًا أن تعيش وتتصرّف بطريقة معينة وليس فقط مواجهة الأسئلة المجردة (Hadot, 1995). لتوسيع الفهم وتقريب المعنى إليك عض

التعريفات الخاصة بالفلسفة رصدها الباحث "الحسين بشوط":

أ- يُعَرِّفُ "أرسطو" الفلسفةَ أنها العقل أي (المعرفة).

ب- الفلسفة: ميزانٌ لتحليلِ وقياسِ الواقع.

ت- الفلسفة: أسلوبُ تفكيرٍ مُخالفٍ للنمطيَّة والطَّبْع والعادة.

ث- الفلسفة: مُساءَلة كلِّ الأشياءِ سواءً أكانت موجودات (حسية) أو مُدركات عقلية (مجرّدة).

ج-الفلسفة: تأملٌ في الخَلْق للوصول إلى معرفة الخالِق.

ح-الفلسفة: المعرفة الشاملة والواسعة والعميقة والدقيقة للأمور.

خ-الفلسفة: إعادة ترتيبِ المفاهيم والمعلومات والمعارِف وِفْقَ منطقٍ عقليٍّ وليس وفق العادة أو المَوْروثْ أو الخرافة.

د- الفلسفة: هي التربية.

ذ- الفلسفة: هي الأخلاق والحرية والعدل والمساواة

ر- الفلسفة: الوسيلة التي يدرِك بها الإنسان إنسانيَّتَه.

ز- الفلسفة: الشّك المُفضي إلى اليقين (البرهان بالخُلف).

س- الفلسفة: نشاطٌ فكري محيط بالإنسان ومحيطِه.

ش- الفلسفة: هي الطريقة / نقول: فلسفتُكَ في الحياة؛ أي طريقتُك في الحياة.

ص- الفلسفة: طريقٌ نحو الفضيلة.

ض- الفلسفة: هي الرؤية / نقول فلسفتُك حول الحياة؛ أي نظرتُك للحياة.

ط- الفلسفة: تَعَوُّدٌ على طرحِ الأسئلة دائما وباستمرار.

ظ- الفلسفة: إقامة نوع من الصلة والتوافق المنطقي السليم بين العقل والدين.

ع- الإنسان كائنٌ مُتفلسف؛ أي مُتَسائلٌ بِشدة.

غ- الفلسفة: المُساءَلة الدائمة للكون والحياة والوجود.

ف- الفلسفة: دراسة المبادئ الأولى للموجودات وتفسيرِ المعرفةِ تفسيرا عقليا (علميا).

ق- الإنسانُ الفيلسوف: هو الإنسانُ الحكيم.

ك- الإنسان فيلسوف بطبعِه وفطرتِه، وتتجلى فلسفتُه عندما يكون طفلا حيث تُسيطر عليه الدّهشة حول كلّ شيء.

ل- الأطفال فلاسفةٌ بالفطرة، لأنهم كائناتٌ كثيرةُ التّساؤُل والاستفسار والبحث والتحقّق والاكتشاف.

م- الفلسفة: هي الرغبة في المعرفة" (بشوظ، 2017).

تأريخياً:

- ✓ تذكر الأدبيات المؤرّخَة للفلسفة أنّ فلاسفة اليونان قبل سقراط كثيرا ما انهجسوا بالنّظر الكوني، حيث تساءلوا حول أصله وفصله ومصيره؟ (من تراب، من ماء، من هواء)، حتّى أنزل سقراط Socrate 520+ (470 ق.م - 399 ق.م) (أب الفلسفة) الفلسفة من السّماء إلى الأرض، أين عمل على تحويل التّفكير الفلسفي من مسائل كونية ما ورائية إلى معضلات إنسانية اجتماعية معيشة، فكان شعاره -كما زعم "أفلاطون"[10]- "أعرف نفسك بنفسك"، إذ يعتبر أوّل تقدير واهتمام -وصلنا حسب الرواية الغربية- ببناء الإنسان. كما انهجس بكيفية تقويم السلوك البشري، بسؤال مركزي: ما السَّبيل الأوضح لتصحيح مسار السلوك الذي انحرف عن الطّريق المستقيم؟. وللإجابة عنه كان لابدّ أن يحدّد "الأساس" الذي بناءً عليه يمكن له الحكم بأنّ هكذا سلوك أو ذاك سوي أو غير سوي. أن يحدد الطريق المستقيم حتى يطمئنّ لحُكمِهِ بأنّ (زيداً) أو (عبيداً) قد انحرف عن الاستقامة (علي، 1995، الصفحات 10-11). حيث كان يحثّ النّاس على ضرورة التّساؤل حول الموضوعات الرئيسية التي يجب أن تشغل الضّمير البشري، مع إدّعاءه ووعيه بأنّه لا يَعرف شَيئا la conscience de son indigence منها، لذا يجب مواصلة التّساؤل حولها. حيث جعل لشخصه مهمّة إيقاظ النّاس Eveiller وحثّهم لضرورة الوعي بأنفسهم ومعرفة أنفسهم، والتّفكير في سرّ حياتهم وضعيتهم، والتّخطيط لها نحو الأشياء أو الأهداف الّتي نتوقّع منها تحقيق وجودنا.

[10] ذلك لأن هناك من ذهب لنفي مرجعية المقولة لسقراط. أنظر: PHILOSOPHIE MAGAZINE - 119 MAI 2018.
أو : كليمون روسي: أعرف نفسك بنفسك، ترجمة يوسف اسحيردة . موقع: https://couua.com/2019

- ✓ يورد Jean-François Dortier تصويرا بانوراميا (وفق الجدول أدناه) للمراكز الثّقافية الرّئيسيّة الأربعة للفكر اليوناني، المقابلة لأربعة عصور متتالية. حيث يؤكّد فكرة أنّ أيونيا Ionie (تركيا الحاليّة) هي مهد الفلسفة والعلوم، ويمكن اعتبار "مدرسة ميليت L'école de Milet" في القرن السادس قبل الميلاد مركز ثقل الفكر، أسّسها الفيلسوف الإغريقي "طاليس Thalès"(624 ق م 546 ق م) صاحب نظرية طاليس Théorème de Thalèsفي الهندسة، والذي لم يصلنا عن فكره الكثير رغم ما عرف عنه بأنّه كان عالم موسوعي في الرّياضيات، الهندسة، الفلك، الأخلاق والسّياسة.
- ✓ حيث ازدهرت الفلسفة والعلوم بذات الحاضِرَة، خاصة بعد ابتداع الأبجدية والعملة النقدية، وهذا ليس بالأمر العبثي أن تخترع هناك، لما لها من أهمية كبرى لاحقا في التطور المحلي والجهوي والعالمي في ديناميكية التاريخ الفكري الإنساني، إذ تحولت المدينة منذ القرن السادس لحاضرة ساحلية مزدهرة، ساهمت في نشاط اقتصادي وثقافي وتعليمي مؤثّر، ومَجلَبَةٌ للقوافل من الهند، وبلاد ما بين النهرين، وفارس (إيران). ومركز إشعاع اقتصادي ومنه ثقافي وفكري على باقي الأمصار خاصّة إيطاليا، مصر واليونان...
- ✓ بعد ذلك تحركت الموجة الفلسفية بإتجاه جنوب إيطاليا حيث تأسست مدرسة فيثاغورس Pythagoriciens، مدرسة فلسفية ودينية حيث عاش وعمل العديد من أتباعه، بعدما كان قد أسس سابقا مدرسة القوس التي لم تلقى ترحيباً ولا قبولا سنة 520 ق م. تذكر الشّواهد أنّ الفيثاغورسيون وضعوا لأنفسهم قواعد سلوكية لضبط علاقاتهم، في التّحدث، اللّباس والهندام، الأكل والشّرب. للإشارة عُرف أتباعهم من رجال ونساء باسم "ماثيماتيكوي".

- ✓ ومدرسة Eléates (بارمينيدس Parménide، زينون Zénon) ثمّ تولت "أثينا" المسؤولية في القرن الرّابع قبل الميلاد بتطوير الفكر الفلسفي الإنساني، خاصة بعدما أسّس "أفلاطون" الأكاديمية l'Académie و"أرسطو " مدرسته الخاصة.
- وبعد انهيار المدينة الأثينية وتراجع الهيمنة والنّفوذ والفكر اليوناني لعدّة أسباب خاصة حملات الرومان والأسبرطيين، تحوّل مركز الثقل الفكري تجاه مكتبة الإسكندرية في مصر، حيث تجمعت النّخب المتعلمة[11]. لاحظ الجدول الموالي جيدا لتلخيص أهم المحطّات المكانية والزّمانية للفكر الفلسفي اليوناني باعتباره حلقة مهمة لتطور الفلسفة الإنسانية ككل. حيث بقيت مدارس أثينا منارة فلسفية رائدة لعدة قرون، حتى فقدت بريقها ونورها بعد تجلّي النّجم الصّاعد "الإسكندرية Alexandrie" التي أسسها الإمبراطور ألكسندر Alexandre عام 332 قبل الميلاد. حيث اشتهرت مكتبة الإسكندرية الكبرى La grande bibliothèque d'Alexandrie كمركز مؤثّر ومُشِّع للتّعليم بشكل واسع بالمنطقة، بل للعالم ككل. حيث تلاحقت بها أجيال من العلماء الذين سيصمون تاريخ العلم، على نحو "إراتوستينس Ératosthène"، "بطليموس Ptolémée "،" أرسطرخس Aristarque" وغيرهم دامت ثلاثة قرون قبل أن تُحطَّم وتحرق وتنهب من لدن الرّومان ثمّ الطوائف المسيحية من بعد[12].

[11] Jean-François Dortier, "Les quatre foyers de la pensée grecque", Sciences Humaines, Septembre-octobre-novembre 2017. https://www.scienceshumaines.com/les-quatre-foyers-de-la-pensee-grecque_fr_38554.html?utm_source=MailPerformance&utm_medium=email&utm_content=Les+quatre+foyersde+la+pens%c3%a9e+grecque_0033HTS&utm_campaign=NLHebdo+200420_0015IU

[12] Ibid.

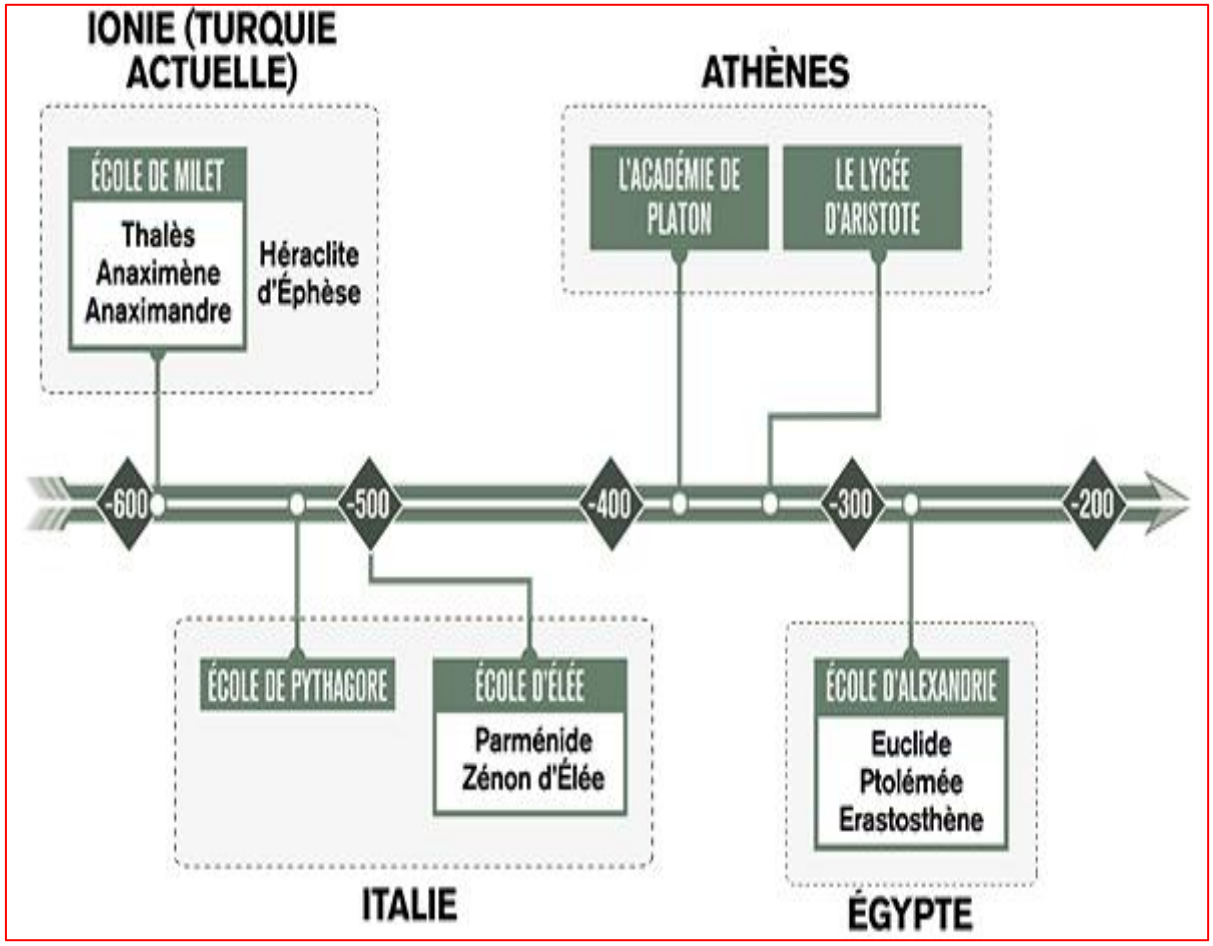

- في ذات السّياق يعتقد "بيار هادو Pierre Hadot" (Hadot, 1995) أنّ الفلسفة القديمة (الإغريقية والرّومانية) لم تكن كذلك وإنّما عبارة عن "فن للحياة un art de vivre "، حيث كان الفيلسوف يعرَف بأنه "الحكيم Le sage"، صاحب اللّحية البارزة والجُبَّة une toge المُتميزَة، يتّصف بإرادة خاصّة لخوض تجربة عيش حياة نموذجية، فاضلة وجديرة بالإنسانيّة. "حياة جيّدة" تستلزم معرفة، كما تستلزم "تمارين روحية" تهدف إلى تكوين فكر وروح فاضلة، ما يُكسبه قدر من التّقدير المجتمعي بين غالبية الأفراد، حيث يرتقي -الفيلسوف- لمرتبة "قدّيس علماني Saint laïc"[13] مُتبحِر في فنّ الحياة، كمقابل للقديس اللاّهوتي المُتَمرَّس في فنّ ما بعد الحياة.

[13] Jean-François Dortier, Qu'est-ce que la philosophie, La philosophie en quatre questions, sciences humaines, Mai-juin, 2012.

- ✓ وهناك سبب معرفي رئيسي آخر يحدّده "ألان باديو Alain Badiou " وهو عجز الفلسفة إبّان ذلك عن مواكبة التطورات العلمية لعصرها. ما جعل دور الفلسفة يتراجع الى حد بعيد – بما في ذلك مساهمتها في موضوع "الحقيقة" نفسه – نتيجة القصور الكبير في تمثل تطوراتها المعرفية. ولعل أبرز الطفرات العلمية التي يرى "باديو" أنّ الفلسفة أغفلتها وعجزت عن مواكبتها هي "نظرية المجموعات Set theory " في الرّياضيات. حيث يعتقد في هذه النظرية أنها حدث معرفي بشري جلل انطلق في القرن التاسع عشر وما يزال كذلك الى يومنا. ذلك أن ابتكار "نظرية المجموعات" في الرياضيات أتاح لنا، لأول مرة في تاريخ الفكر البشري، التعامل مع إشكاليات معرفية مستعصية، مثل مفاهيم "العدم" أو "اللاّنهائية". حيث حوّلتها نظرية المجموعات من نقاط إنسداد ومآزق معرفية الى نقاط يمكن التّعامل معها رياضياً ومعرفياً، حتى لو كانت تقع خارج نطاق قدرة البشر على التّصور.

ولكن، من جهة أخرى، كما يؤكّد "باديو" إنّ دور الفلسفة لم يعد توليد الحقائق، كما كان يُظنُّ قديماً، بل إنّها أمست "راعية" لها لا غير. بمعنى أنّ المعطيات الّتي تتوفر لها من مجالات الحياة البشرية القادرة على توليد معطيات الحقائق، كالعلم، الفن، العاطفة، السّياسة، تقدم للفلسفة مادّتها لا غير. ومنه يمسي دور الفلسفة في الكشف عن هكذا معطيات، وموضعتها في صيغة "حقائق". حقائق تبقى صالحة ومطلقة وثابتة في كلّ زمان ومكان، رغم اختلاف صيغ وأشكال التّعبير عنها مهما تجدّدت العصور والأزمنة وتطورت المعارف. ولعل بوسعنا من خلال ما تقدّم تكوين فكرة ولو أولية عن مدى الجذرية التي تمثلها فلسفة باديو في فكر عالمنا المعاصر[14].

ويضيف "François Galichet " (الغطاء الخارجي الخلفي للكتاب) وفق مقاربة التفلسف

[14] *نصير فليح*، " ما سِرّ اختلاف ألان باديو عن مفكري وفلاسفة العالم المعاصر". https://ecuua.com/.

كممارسةphilosopher comme pratique أنّ التّفلسف Philosopher لا ينحصر في امتلاك القدرة على أشكلةproblématiser ، مَفهَمَة conceptualiser وبَرهَنَة argumenter ، بل يجب امتلاك مهارة رابعة وهي تفسير الأمور interpréter (Galichet, 2019).

✓ يلخص المختصون أهم عناصر التّفكير الفلسفي في:

1. **الدّهشة** l'étonnement باعتبارها حالة قلق وتوتر ذهني ونفسي تعبر عن ذهول وارتياب عقل صاحبها ما يدفعه للاهتمام ومحاولة الفهم. فقد قال "أرسطو "إنّ ما دفع النّاس في الأصل وما يدفعهم اليوم الى البحوث الفلسفية الأولى هو الدّهشة"، ما جعل "سقراط" يصرح أن أفضل الفلاسفة هم الأطفال[15]. وعلية تعتبر "الدّهشة أمّ الفلسفة ومنبعها الخصب!». ومردّ ذلك حسب "آرتور شوبنهاور-Arthur Schopenhauer " (1788-1860) «أنّ الإنسان حيوان ميتافيزيقي، وممّا لا شكّ فيه أنّه عند بداية يقظة وعيه، يتصور فهم ذاته أمرا لا يحتاج الى عناء، غير أنّ ذلك لا يدوم طويلا فمع أوّل تفكير يقوم به، تتولّد لديه تلك الدّهشة التي كانت على نحو ما، أصل الميتافيزيقيا" (لماذا نعيش؟).
2. **الشَّك المنهجي** Le doute méthodique: يعتبر السّبيل المنتظم لتحقيق اليقين.

[15] للإشارة تمّ الاعتراف منذ سنوات بتخصص "فلسفة الطفولة" _كما ظهرت سوسيولوجيا الطفولة_ التي تتضمن تساؤلات فلسفية ومثيرة ومستفزة حول الطفولة ومتاع الطفولة، و أبرز مفاهيمها ونظريات النمو المعرفي والأخلاقي لهذه الفئة، إضافة لانشغالاتها وحقوقها وثقافتها، وتميزها ومكانتها في المجتمع. غالبا ما تلحق فلسفة الطفولة كموضوع أكاديمي مع فلسفة التربية والتعليم. للتوضيح الانشغال الفلسفي بالطفولة سبق ذلك بكثير حيث حاول عديد الفلاسفة ملامسة هذه الفئة المهمة من المجتمع منذ سقراط و أفلاطون، أرسطو، روسو، لوك، هيوم، كانط، هيجل، ميل، إلى برتر اند راسل وجون ديوي...

Siegel, Harvey, The Oxford Handbook of the Philosophy of Education, Oxford: Oxford University Press , 2009.

يميز آل التّخصص بين الشّك البسيط العامّي والشّك الرَّيبي (العَدَمي) الذي يبتغي الشّك من أجل الشّك[16] وبين الشّك المنهجيMethodic doubt (شك مؤقّت عكس الشّك المذهبي المطلق) ينتمي للشك الفلسفي " المعرفي"، الذي امتهنه "روني ديكارت René Descartes"(1596- 1650)، صاحب العبارة الشّهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود Je pense donc je suis" باعتبار الشّك المنهجي طريقة للبحث عن اليقين من خلال التّشكيك بشكل منهجي في كل شيء، يسمّيه ديكارت بمسح الطّاولة. عادة ما يلخص المختصون الشك في نوعين رئيسين، الشك المذهبي الدائم، والشك المنهجي المؤقت يتخذه "الفيلسوف/المفكر" منهجاً له لبلوغ الحقيقة وإدراك اليقين العلمي، ويعتبر "أبو حامد الغزالي" إمام الشك المنهجي في الفلسفة الإسلامية، وقد سبق "ديكارت" في الفلسفة الغربية في هذا المنهج. ولكل نوعٍ خصائص نجملها فيما يلي:

3. **الوعي بالجهل:** من شروط تحقيق التّفلسف/الفلسفة افتراض جهل أساسي للأمور و للإشكالات المطروحة، فالتّفلسف جهل تتبعه إرادة معرفة، وحسب (أسطورة الكهف) لأفلاطون لن يتمّ الوعي بالجهل إلاّ عند افتراض أفلاطون إطلاق سراح أحد السّجناء المقيدين والمجبرين على النّظر للداخل، فأطلق سراح أحدهم

---

[16] الشُّكُوكِيَة: حركة فلسفية ظهرت في اليونان القديمة تدعو إلى الشّك فيما لا يحققه الإنسان بالتّجربة. حيث حاولوا إضعاف ثقة الناس في الملاحظة والعقل باعتبارهما دليلين لفهم العالم، وجادلوا ضد كل المدارس الفلسفية والدينية. يعتقد الشّكوكيون أنّ الناس يمكن أن يتأكدوا من طبيعة ملاحظاتهم، لكنهم لا يمكن أن يتأكدوا من أن ملاحظاتهم تعكس العالم الحقيقي. وطبقًا لآراء الشكوكيين فإن الناس يجب أن يعلّقوا الحكم فيما يتعلّق بحقيقة أو كذب إدراكهم الحسّي. للشكوكية مدرستان في اليونان القديمة، المدرسة الأولى لمؤسسها "بيرو الأليسي" الذي عاش بين عام 361 وعام 270 ق.م، سُميت باسم المدرسة الشكوكية البيروية، وقام "إنسيدموس" بتطويرها، تمّ عرضها في كتابات "سكستس إيمبريكس" الذي عاش عام 200م تقريبًا. والمدرسة الثانية للشكوكية تطورت في المدرسة الفلسفية التي أنشأها أفلاطون وكانت تعرف باسم *الشكوكية الأكاديمية*، بدأت عن طريق "أرسيسيلاوس" في القرن الثالث قبل الميلاد، واستمرت عن طريق "كارنياديس" في القرن الثاني قبل الميلاد. اهتم هؤلاء الشكوكيون بكشف صعوبة آراء الفلاسفة الآخرين، وموجز المبادئ الشكوكية حفظه "شيشرون" في كتابه "أكاديميا".(من موسوعة معرفة https://www.marefa.org)

حيث تمكن من رؤية النّار المسعورة لفه، والتّي ينعكس نورها على الأشياء والمدركات الحسّية المختلفة**ضرورة الوعي بالتّناقضات القائمة والممكنة:**

يؤكّد "هيجل" في "موسوعة العلوم الفلسفية" أنّ الاقتصار على النّظر إلى مضمون معيّن، من زاوية التّفاعل المتبادَل.. منهج يتميّز بالبؤس المفاهيمي إلى أقصى الحدود. ففي هذه الحالة، فإنّنا سنكتفي بالبقاء ضضمن مجال الواقع الخام. ولذلك فإنّ الحاجة إلى التّوسط الّتي تبرز حينما يتعلق الأمر، باكتشاف سبب الارتباط، تبقى غير مشبعة. إنّ قصور المنهج الّذي يقارب الظواهر من زاوية التّفاعل المتبادل، يكمن في كون أنّ علاقة التّفاعل، بدل أن تَحلّ محلّ المفهوم، يتعيّن عليها هي ذاتها أن تكون مفهوم،. ولن يتأتّى ذلك إلاّ إذا نظرنا إلى العاملين اللّذين يؤثّران في بعضهما البعض، على أنّهما نتيجة لعنصر ثالث مُتسامٍ، بدل أن ننظر إليهما كمُعطَيين مباشرين" (هيغل، 2003).

4. **التّجارب المحدودة** Les expériences limites **(الشّخصية):**

كثيرا ما تشتغل الفلسفة على نقد الخبرات والتّجارب الذّاتية، واتّخاذ المواقف في شَتّى مجالات الحياة الفكرية والوجدانيّة (موسى ، 1982).

إيمانويل كانط واكتساب مَلَكَة التَّفَلسُف:

- ✓ قلّص "إيمانويل كانط "Kant (1724-1804) (فيلسوف العقل والنّقد) بعد أن بلغ من العمر عُتِيا (سبعين سنة)، مطوّر "الفلسفة / المتعاليّة /الترنسندنتالية Transcendentalism philosophy"[17] (الفلسفة التي تبحث في الشّروط القَبلِيَة للمعرفة البشرية بدراسة عمليات الفكر القبلية a priori لا عن طريق الخبرة أو التّجربة) أسئلة الفلسفة الحديثة. فلسفة قال عنها "سارتر" (الفلسفة الوجودية) حيث شبه ما قام به كانط في أسلوب طرح المشكلات الفلسفية بما حقق "كوبرنيكوس" في مجال علم الفلك. كما ذكر "زكريا إبراهيم" في كتابه "كانط أو الفلسفة النّقدية" أنّ الأصل في هذه الفلسفة هو "تساؤل "كانط" عن طبيعة المعرفة البشرية، وحتميتها وحدودها وعلاقتها بالوجود". ومن هنا، يرجع مجال الفلسفة إلى الأسئلة التالية:

1 - ما الذي يمكنني معرفته؟. 2 - ما الذي يجب علي فعله؟

3 - ما المسموح لي بأن آمله؟ . 4 - ما هو الإنسان؟

---

[17] الفلسفة المتعالية/الترنسندنتالية حركة أدبية، فلسفية، دينية وسياسية أمريكية برزت مع العقد الثاني من القرن التاسع عشر بزعامة "رالف والدو إمرسونRalph Waldo Emerson " و"هنري ديفيد ثورو Henry David Thoreau" و"مارغريت فولرMargaret Fuller " و"ليديا ماريا تشايل Lydia Maria Child" ... متأثّرين بالنّزعة الرومانسية الإنجليزية والألمانية، ونقد الكتاب المقدس من لدن "هيردر Herder" و"شليرماخر Schleiermacher "، إضافة لنزعة الشّك skepticism " عند "هيوم Hume " و"كانط Kant". حيث مارسوا الانتقاد الواسع لمجتمعهم، وطالبوا من كل شخص أن يجد ما سمّاه "إمرسون" علاقة أصيلة بالكون an original relation to the universe.

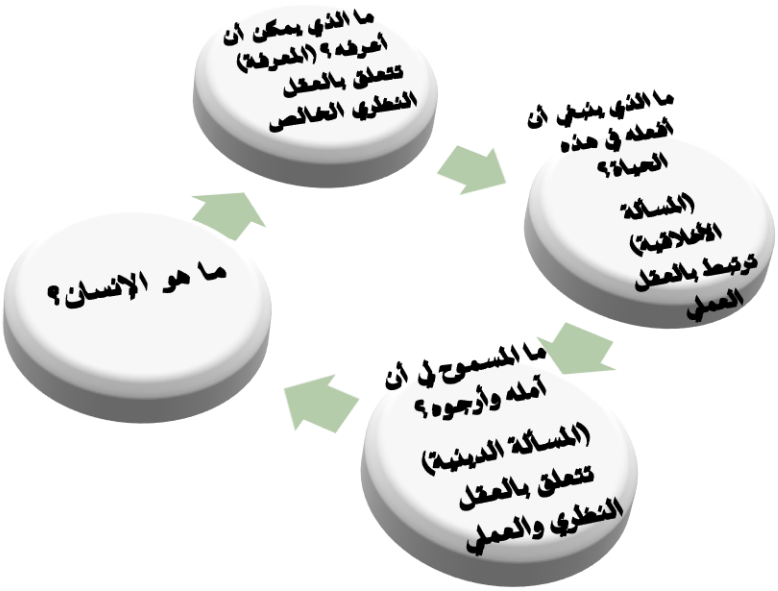
ما الذي يمكن أن أعرفه؟ (المعرفة) تتعلق بالعقل النظري الخالص
ما الذي ينبغي أن أفعله في هذه الحياة؟ (المسألة الأخلاقية) ترتبط بالعقل العملي
ما المسموح لي أن آمله وأرجوه؟ (المسألة الدينية) تتعلق بالعقل النظري والعملي
ما هو الإنسان؟